

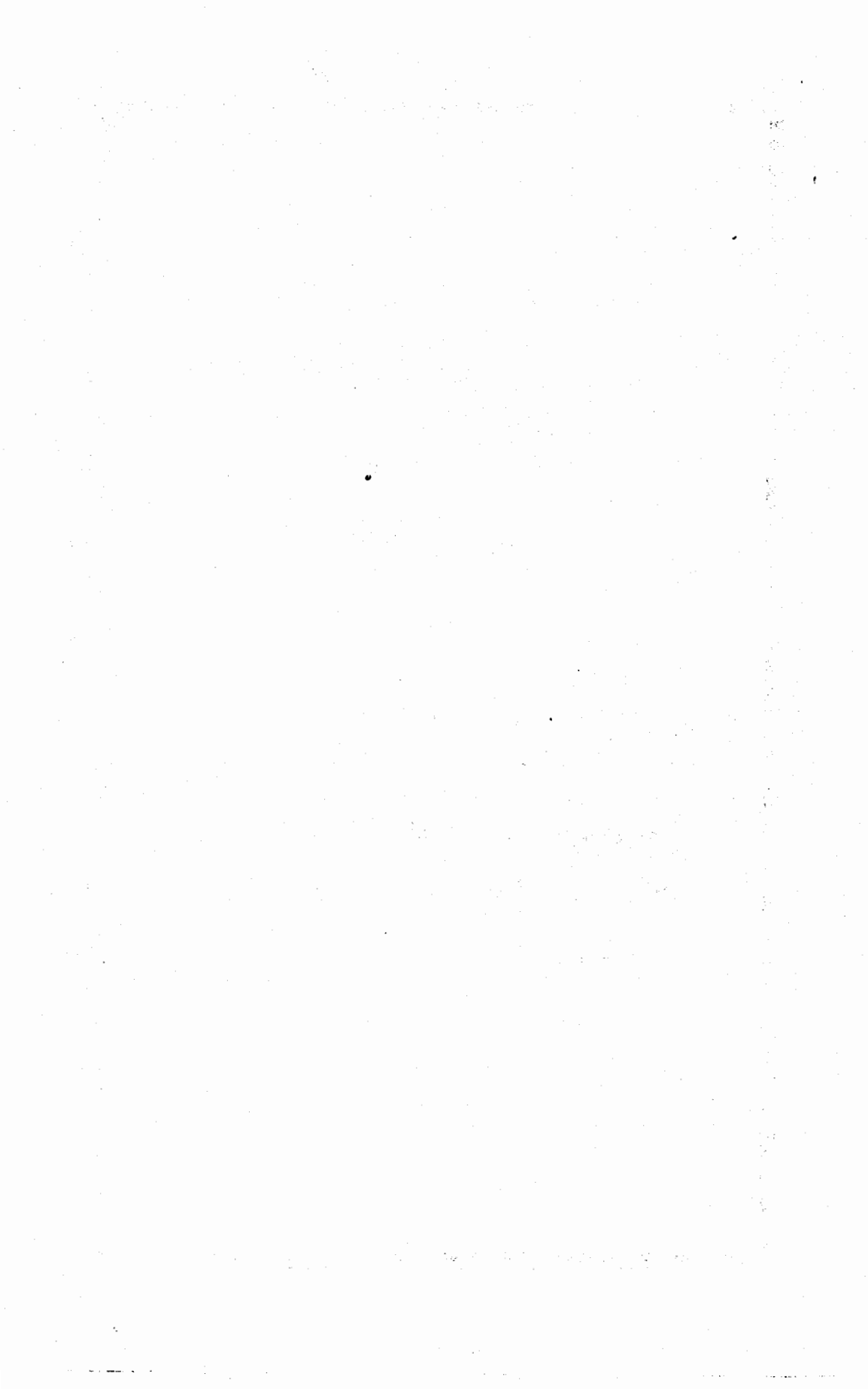
الفاطميون والحج

الدكتورة

أمنية أحمد إمام الشوربجي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية البنات - جامعة عين شمس



اهتمام الفاطميين بالأراضي المقدسة :

منذ اليوم الأول لقيام الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب والخلفاء الفاطميون يحركهم حنين فياض نحو المشرق العربي وخصوصاً المناطق المقدسة بمكة والمدينة ، بل إن بعض مؤرخي تلك الفترة يجد أن تأسيسهم لخلافة فاطمية ببلاد المغرب كانت بغرض اتخاذها مركزاً تمهيدياً يعدون فيه العدة من أجل الانطلاق نحو المشرق للقضاء على الخلافة العباسية السنية وإحلال خلافتهم الشيعية بدلاً منها .

والمنتبغ لفترة حكم الخليفة الفاطمي المهدي يدرك مدى رغبته في تنفيذ تلك الفكرة ولكنه كان شديد الحذر فلم يفكر في غزو المشرق دفعة واحدة وإنما أخذ يظهر القوى الفاطمية الحربية على الساحة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكثر من بث الدعاة في جميع الأمصار تمهيداً لتنفيذ حلم الاستيلاء على المشرق والسيطرة على المناطق المقدسة والدعاء له على منابر الحرمين الشريفين وخصوصاً أنه ظهرت في تلك الفترة فكرة جديدة سيطرت على مجريات الأمور السياسية والدينية تتعلق بماهية الخليفة الشرعي للمسلمين ، فالخليفة الشرعي تبعاً لهذه الفكرة هو من كان مسيطراً على

الحرمين الشريفين^(١) وذلك لأن الحجاز هو قبلة المسلمين جميعاً ، كما أن له أهمية خاصة بالفاطميين لوجود قبر فاطمة الزهراء التى تنسب إليها خلافتهم الشيعية^(٢) بالمدينة المنورة .

ومن هذا المنطلق حمل الخليفة المهدي الفاطمي على عاتقه تنفيذ هذه الفكرة فقام بمحاولات متعددة للوصول إلى المشرق عن طريق فتح مصر كخطوة للسيطرة على الأراضي المقدسة فأرسل الحملات الحربية الحملة تلو الأخرى، فكانت الحملة الأولى سنة ٣٠١ هـ بقيادة ابنه وولى عهده أبو القاسم يساعده حباسة بن يوسف ، فساروا إلى برقة واستولوا عليها فى ذى الحجة ثم إلى الإسكندرية والفيوم التى ضيق على أهلها ، ولكن الخليفة العباسي المقتدر كان يتابع تلك المحاولة فأرسل قائده مؤنس الخادم على رأس جيش كبير تمكن من القضاء على هذه المحاولة بالقرب من الجيزة فهزم الجيش الفاطمي فقتل من قتل وفر من فر ممن تبقى إلى بلاد المغرب^(٣) .

(١) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٩

- القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٧٦

- المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٦٢

- آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٥ ، ١٦ ، طبعة

الألف كتاب الثانى رقم ١٦٨

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ١٤

- عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢١٥ ، طبعة ١٩٦٨

- عبد المنعم ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٥

(٢) ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٥

(٣) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٧٧

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٨٤

- المقرئى : إتماظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ٦٩

- المقرئى : الخطط ج ١ ، ص ٣٥١

وتكررت محاولة المهدي فأرسل حملة ثانية سنة ٣٠٦ هـ بقيادة أبا القاسم أيضاً فوصلت إلى الإسكندرية سنة ٣٠٧ هـ وتوغلت في الأراضي المصرية لتصل إلى الأشمونين واستقرت بالفيوم^(١)، وانتهاز أبو القاسم فترة إقامته بالفيوم وبعث بالرسل إلى أهل مكة يدعوهم للدخول في كنف الدولة الفاطمية، وشجعه على هذا المطلب قيام تلك الحركة الانفصالية التي قام بها أحد الزعماء العلويين من بنى سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الذي أعلن الاستقلال عن جسم الدولة العباسية وإسقاط اسم الخليفة العباسي من فوق منابر مكة المكرمة، بل وصل به الحال إلى الدعاء لنفسه فوق منابر الحرم الشريف بمكة المكرمة سنة ٣٠١ هـ^(٢) إلا أن أهل مكة لم يستجيبوا لطلب أبا القاسم الذي اعتبر الرد بالرفض نوعاً من الإهانة للخلافة الفاطمية، بل يذهب البعض إلى أن أبا القاسم أوعز إلى القرامطة البحرينيين (الجنابيين) باحتلال مكة وإقامة الخطبة لوالده عبد الله المهدي^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ح ٨، ص ١١٣

- المقرئ: إتعاظ الحنفا، ح ١، ص ٧١ أحداث سنة ٣٠٦ هـ

- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١٥

- الزيلعي: مكة وعلاقتها الخارجية، ص ٢٤

(٢) المقرئ: إتعاظ الحنفا، ح ١، ص ٧١، ٧٢

(٣) ابن خلدون: العبر ح ٤، ص ٨٨ - ٨٩٩

- المقرئ: إتعاظ الحنفا، ح ١، ص ٧١

- ابن الأثير: الكامل، ح ٨، ص ١١٣

- جمال سرور: النفوذ الفاطمي ص ١٤

- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص ١١٥

ويذكر ابن خلدون أن القرامطة ساعدوا الفاطميين بطريقة غير مباشرة عندما أخذوا في شن الحملات الحربية على حدود الدولة العباسية واستنزاف ثرواتها وإنهاك قواها^(١).

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحملة التي شنّها أبو القاسم قد لفتت نظر العباسيين إلى ضرورة الوقوف في وجه الفاطميين ، فأرسل لهم الخليفة المقتدر بالله العباسي جيشاً قوياً بقيادة مؤنس الخادم أحرق سفنهم وشتت قواهم وهزمهم فعاد أبو القاسم إلى المهديّة . ولكن محاولات الفاطميين المتكررة لفتح مصر لم تقتر فقد أعد عبيد الله المهدي حملة جديدة إلى مصر بقيادة حبيش بن أحمد المغربي استمرت ثلاث سنوات من ٣٢١هـ / إلى ٣٢٣هـ^(٢) إلا أن محمد بن طغج الإخشيد تصدى لهذه الحملة وهزم الفاطميين وأرغمهم على العودة إلى المغرب من جديد^(٣).

وتوقفت بعد ذلك المحاولات الفاطمية لفتح مصر قرابة ربع قرن خلال عهدي الخليفة الفاطمي القائم (٣٢٢هـ - ٣٣٤هـ) والخليفة المنصور (٣٣٤هـ - ٣٤١هـ) وجزءاً من عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي^(٤).

ويرجع المؤرخون توقف الحملات الحربية على مصر إلى ما كان يلاقه الفاطميون من اضطرابات ببلاد المغرب ، فلم يكن المغرب سلساً لقيادتهم بل كانت هناك كثير من القوى المناوئة لهم فالأدارسة بالمغرب الأقصى ، والدولة الرستمية بالمغرب الأوسط ، كما كان جنوب المغرب

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٨٩

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٨

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٥٢

(٤) الكندي : الولاة والقضاء ، ص ٢٨٨

- ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٤٠

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١٧

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١٧

تسيطر عليه دولة اتخذت من سجلها عاصمها إلى جانب الثورات المتكررة للبربر ، وكل هذه الأسباب مجتمعة أجلت سيطرة الفاطميين على مصر واتخاذها مقراً لخلافتهم ، ورغم هذا لم تتوقف محاولاتهم في نشر المذهب فيذكر أنهم أكثروا من بث الدعاة بجميع الأمصار لتعليم الناس عقائد المذهب الفاطمي^(١) وخصوصاً منذ زمن الخليفة المعز لدين الله فقد أولى هذا الخليفة اهتماماً خاصاً بالمشرق والمناطق المقدسة ببلاد الحجاز ويظهر هذا بصورة واضحة فيما ذكره القاضي النعمان عندما وصف أحد مجالس الخليفة المعز التي اجتمع فيها بزعماء كتامة والخطبة التي ألقاها عليهم والتي بين لهم فيها اهتمامه بأمر المشرق وأن فكرة الاستيلاء عليه لم تغب عن خياله بل كانت تداعب مخيلته ولكنه كان يتحين الفرصة لتنفيذ هذه الأمنية الغالية^(٢) وكان يتتبع الأحداث داخل المناطق المقدسة باهتمام بالغ ويتدخل من وقت لآخر لإثبات الوجود الفاطمي بمكة أو المدينة ، ويظهر هذا بصورة جلية عندما وصل إلى سمعه النزاع الذي حدث بين بني الحسن بن جعفر وبني جعفر بن أبي طالب وأنه قتل من بني الحسن أكثر مما قتل من بني جعفر ، فأرسل مالا ورجالا سعوا بين الطائفتين حتى أصلحوا بينهم ، وعقدوا بينهم في المسجد الحرام صلحاً وتحملوا ديانتهم من مال المعز^(٣) .

(١) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٧٥

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١٩

(٢) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٧٥

- المقرئ : إتحاف الحنفا ، ج ١ ، ص ٩٥

(٣) المقرئ : إتحاف الحنفا ، ج ١ ، ص ١٠١

- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

- ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص ٢١٦ طبعة ١٩٦٨

- عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط

الخلافة العباسية ص ١٠٩

ويذكر أنه عندما استولى فريق من الحسين على مكة وكان هذا فى أواخر عهد الإخشيد ، لم يعلن زعيمهم جعفر^(*) بن محمد بن الحسن بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الجون عن هويته أو ميوله إلا عندما فتح جوهر مصر فأعلن هذا التأثير تبعيته للدولة الفاطمية وخطب للمعز على منابر الحرم ٣٥٨ هـ ودعا للمعز فى موسم هذا العام^(١) .

وقد اختلف رأى المؤرخين حول إعلان هذه التبعية فاعتبرها البعض كنوع من رد الجميل للخليفة المعز عما قام به تجاه الصراع بين الفريقين المتنازعين ، أما البعض الآخر فقد أرجعها إلى الظروف الاقتصادية البحتة لأن المعز كان يدعم بنى جعفر بمكة اقتصادياً إذ أنفذ إليهم أموالاً عظيمة^(٢) .

فيذكر المقرئى : " أنه فى سنة ٣٥٩ هـ أرسل المعز عسكرياً وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع^(٣) . كما يذكر أيضاً أن أمراء مكة وجدوا فى ظل التبعية الفاطمية نوعاً من الاستقلال لم

(*) حكم جعفر من ٣٥٨ هـ حتى ٣٧٠ هـ ويعتبر مؤسس بنى خليفة الهواشم التى كانت موالية للفاطميين (عطية القوصى : تجارة مصر ، هامش ٢ ، ص ١٠٩) .

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٢٢١

- محمد لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ١٤٤

- عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢١٧

- عبد المنعم ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٥ ، ١١٦

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٥

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

(٢) الجزيرى : ورد الفوائد ، ص ٥٨٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٨

(٣) المقرئى : إتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٢٢

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٨

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٥ ، ١١٦

يجدوه فى ظل الخلافة العباسية وخصوصاً عندما سارع المعز بتقليد الحرم وأعماله لجعفر بن محمد بن الحسن . إلا أن النظام الفاطمى فى مكة لم يلبث أن أصيب بنكسة كبيرة خصوصاً عندما خلع القرامطة طاعة الفاطميين وأعلنوا ولاءهم للعباسيين بل رفعوا شعار العباسيين وهو " السادة الراجعون إلى الحق " (١). بل إنهم بذلوا جهداً كبيراً فى إعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة المطيع العباسى ٣٥٩ هـ وحصلوا من وراء هذا على أموال وهدايا كثيرة (٢).

ولكن الفاطميين تحركوا سريعاً فأمدوا حلفاءهم الحسينيين حكام المدينة المنورة بقوة كبيرة استطاعوا بها الاستيلاء على مكة وإعادة الخطبة للفاطميين مرة أخرى وإحباط محاولة القرامطة فى هذا الصدد .

فيذكر أن المعز حول موازين القوى إلى جانبه ٣٦٣ هـ واستطاع أن يضمن ولاء أشرف مكة وإعادة الخطبة له على منابر الحرم من جديد وقطعها للخليفة العباسى بل إنه خطط بصورة منظمة لنشر المذهب الشيعى بمكة المكرمة حتى يضمن ولاء أهل مكة سياسياً ومذهبياً بل إنه ساعد بنى المهنا الحسينيين على الوصول إلى الحكم وتكوين دولة صغيرة بالمدينة المنورة خاضعة للخلافة الفاطمية لى تكون سنداً لهم ضد أشرف مكة المتقلبين دائماً (٣) .

ونتيجة لذكاء المعز وحسن سياسته استطاع أن يثبت النفوذ الفاطمى بالمناطق المقدسة طوال فترة حكمه ، بل إن الدولة الفاطمية من جراء ذلك كسبت إضفاء نوع من الشرعية عليها وعلى مذهبها .

(١) المقرئى : إتمام الحنفا ، ص ١٨٧-١٨٨

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٣ ، ص ٥٣

(٣) ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ص ١٥

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

إلا أن الأمور لم تستقر على هذا النحو بعد موت الخليفة المعز ، ففى ٣٦٥ هـ أخذت موازين الأمور تختل بعض الشيء فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى نتيجة لمحاولة العباسيين استعادة مكانتهم السياسية والدينية بالمنطقة وقد ساعدهم على هذا موت الأمير جعفر بن محمد الحسنى ، وتولى ابنه عيسى بن جعفر أمارة مكة من ٣٧٠ هـ إلى ٣٨٤ هـ ، ولم يكن هذا الأمير راض عن نشر المذهب الشيعى من ناحية ، إلى جانب رغبته القوية فى التخلص من السيطرة الفاطمية من ناحية أخرى ، فأسقط اسم الخليفة العزيز بالله ٣٦٥ هـ وأحل محله اسم الخليفة الطائع العباسى^(١) .

إلا أن الخليفة العزيز بالله لم يقف مكتوفى اليدين حيال تلك المحاولة ، فبعث ٣٦٧ هـ بإدريس بن زبرى الصنهاجى أمير الحج فاستولى على الحرمين وأقام الخطبة للخليفة العزيز مرة أخرى^(٢) .

إلا أن النفوذ الفاطمى لم يكن مستقراً طوال عهد الخليفة العزيز بالله ، فقد دعا أمير الحج العراقى لعضد الدولة ابن بويه وأسقط اسم الخليفة العزيز بالله من على منابر مكة المكرمة ، فاضطر العزيز بالله لإرسال حملة ٣٨٠ هـ إلى بلاد الحجاز فرضت حصاراً اقتصادياً وعسكرياً على البلاد ، فاضطر أهلها إلى إعادة الخطبة من جديد للخليفة العزيز بالله وانقطعت للعباسيين ، والحقيقة أن الخلفاء العباسيين لم يسكتوا على تلك السياسة ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٧ أحداث ٣٦٥ هـ

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٦

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٠١ ، أحداث ٣٦٥ هـ

(٢) جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٦

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٨

فعندما فشلوا عسكرياً لإعادة سلطانهم على المناطق المقدسة استخدموا سلاحاً آخر أشد ضراوة من السلاح العسكرى ، فأخذوا يعملون فى الخفاء على تحريض القبائل الحجازية للخروج على الفاطميين وإثارة نوع من الفوضى بالطرق التى يمر بها الحجيج ، إلا أن الفاطميين غالباً ما كان لديهم القدرة على إعادة الأمن والأمان إلى المنطقة وحماية الحجيج وتأمين طرق الحج ، إلى جانب الإنفاق الذى كان يفوق الحد فى كسب رضا أمراء مكة من بنى الحسن بن طاهر ، وكذلك أمراء من بنى الحسين وجعل كل منهما يواظب على إقامة الخطبة للخليفة الفاطمى على منابر الحرمين .

واستمرت الأمور على ما هى عليه بعد موت العزيز بالله وتولية ابنه الحاكم بأمر الله لمدة من الزمن ولكن أمير مكة أبو الفتوح^(*) خرج على الخليفة الحاكم سنة ٤٠٠ هـ ودعا لنفسه بالخلافة^(١) ونزع ماكان بالكعبة المشرفة من ذهب وفضة وضربها دراهم سماها الكعبية^(٢). وقد ساعده الوزير أبو القاسم على بن الحسن المغربى الذى كان قد فر إلى مكة من غضب الحاكم عليه^(٣).

(*) أبو الفتوح: هو الحسن بن جعفر العلوى أمير مكتولاها مرتين، الأولى ٣٨٤-٤٠١ هـ والثانية ٤٠٣ - ٤٢٠ هـ (المسبجى : أخبار مصر فى سنتين ، ص ٤١٤ ، ٤١٥)
 (١) عبد القادر الأنصارى : درر الفوائد المنظمة ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٦ ، ١٧

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٧

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٧

(٣) المسبجى : أخبار مصر فى سنتين ، ص ٤١٤ ، ٤١٥

- المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٧

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢١٩

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٧

- ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢١٩

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٨

فحرضه على الخروج إلى الرملة والاتصال بحسان بن مفرح بن الجراح الذى ساندته وبإيعه بالخلافة ومن ورائه بعض القبائل العربية . ولكن الخليفة الفاطمى لم يقف مكتوف الأيدى حيال هذا الانفصال بل جد فى إعادة نفوذه إلى بلاد الحجاز وإضعاف شأن أبى الفتوح فعين أبا الطيب (ابن عم أبى الفتوح) على إمارة الحرمين وأمدّه بأموال كثيرة بلغت خمسين ألف درهم عدا الهدايا والخلع^(١) . واستمال بعض أفراد أسرة أبى الفتوح فأجزل لهم العطاء فانصرفوا عن أبى الفتوح واستخدم نفس السلاح مع أسرة حسان وأبيه مفرح بن الجراح ، فتراجع الجميع عن نصرة أبى الفتوح^(٢) ، مما دفعه للتفكير فى العودة مرة أخرى إلى حظيرة الدولة الفاطمية وإعلان الندم والاعتذار عما بدر منه تجاه الخليفة الحاكم فخلع نفسه وشهد أن الإمامة للخليفة الحاكم ، فعفا عنه الخليفة وأعاده مرة أخرى إلى إمارة مكة^(٣) .

وتذكر المصادر أن أبا الفتوح استمر فى ولائه بعد ذلك للخليفة الحاكم بأمر الله وأصبح ولاءه أكثر فاعلية عما قبل حيث أقام الدعوة وسك العملة

(١) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين ، ص ٣٣

(٢) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين ، ص ٣٣

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٧

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٨

(٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٩

- ماجد : الحاكم بأمر الله ، ص ١٥٣

- ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢١٩

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٥٦

للخليفة الحاكم^(١) ، بل استمر هذا الولاء حتى بعد موت الحاكم سنة ٤١١ هـ ، فخطب لابنه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله .

والحقيقة أن عهد الظاهر شهد نوعاً من جمود العلاقات الفاطمية المكية في بداية الأمر ويرجع ذلك لعدم اهتمام الخليفة الظاهر بأمور المناطق المقدسة ، بل إنه لم يهتم في أول الأمر بأمر الدعوة والخطبة على منابر الحرمين ، ولم يجد في المواظبة على إرسال المؤن والأموال بصفة مستمرة لأشراف مكة والمدينة .

ويرجع ذلك لاضطراب الأحوال الاقتصادية في مصر نتيجة ما أصاب البلاد من قحط وغلاء ٤١٥ هـ^(٢) . وتطور الأمر إلى نوع من الفتور في العلاقات وخصوصاً عندما أرسل شريف مكة سفارة إلى الخليفة الظاهر تحثه على الوفاء بالتزاماته حيال المناطق المقدسة وأدى فشل هذه السفارة إلى نوع من الغضب لدى أشراف مكة ولكن رغم هذا لم يعودوا إلى حظيرة السيطرة العباسية رغم المحاولات المتكررة التي قام بها العباسيون لاستعادة نفوذهم بالمناطق المقدسة .

ولكن سرعان ما تدارك الفاطميون خطورة العلاقات بينهم وبين أشراف مكة فأرسل الخليفة الفاطمي سفارة عاجلة إلى مكة تحمل معها بعض الالتزامات المالية وغيرها من الهدايا في محاولة منه لتحسين العلاقات من

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ١٩

(٢) المعبجى : أخبار مصر في سنتين ، ص ١٩٢

- أبو صالح : تاريخ ، ص ٦٠

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ١٩

- أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٢٠

جديد والإبقاء على الخطبة للخليفة الظاهر على منابر الحرمين^(١) . والحقيقة أنه رغم الإغراءات العباسية لأشراف مكة وفتور العلاقات بينهم وبين الخلافة الفاطمية إلا أن أشراف مكة لم يغيروا ولاهم من النفوذ الفاطمي إلى العباسي ، ولعل السبب في هذا يرجع إلى الأسلوب الذي اتبعه الفاطميون حيال المناطق المقدسة ، فقد استحسن الأشراف الطريقة التي اتبعتها الدولة الفاطمية معهم والقائمة على ترك تلك المناطق تدار بواسطة الأشراف ومنحهم استقلالاً ذاتياً في إدارة شئون ولاياتهم في مقابل الحصول على الولاء من ناحية والدعاء والخطبة لهم على منابر الحرمين في المناسبات الدينية المختلفة ، وهذا الأمر لم يوفره العباسيون لأشراف مكة والمدينة .

أما في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد تغيرت الأوضاع بعض الشيء في العلاقات الفاطمية الحجازية لصالح الخلافة الفاطمية في أول الأمر وخصوصاً بعد وفاة أبو الفتوح وتولية ابنه عبد الله شكر ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م^(٢) والذي حكم مكة المكرمة ثلاثة وعشرين عاماً وجمع الحرمين الشريفين مثل أبيه^(٣) . ويعتبر شكر من أكثر المؤيدين للنفوذ الفاطمي في الحرمين الشريفين فقد اتسم عهده بالمغالاة في هذا الصدد فيذكر أنه منع الحجاج العراقيين من تأدية فريضة الحج في بعض السنوات كتعبير عن ولائه للفاطمين مما أدى

(١) جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ١٩

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩

(٢) ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٨

(٣) القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ١٩

إلى تدمير بعض الحسينيين فى مكة ضده وضد الفاطميين ، كما زاد من التدمير أن الفاطميين خفضوا أعطيات الأشراف إلى النصف نتيجة للاضطراب الاقتصادى بمصر وأدى هذا كله إلى ظهور طبقة من الأشراف انشقت عن شكر وملت من النفوذ الفاطمى وحاولت العودة إلى النفوذ العباسى ، فلما فشل شكر فى الوقوف فى وجه هذا التحالف الذى تكرر ضده وضد النفوذ الفاطمى، حاول اللجوء للخلافة الفاطمية من أجل استعادة سلطانه على مكة من ناحية ولإعادة الخطبة للخليفة المستنصر من ناحية أخرى .

وتذكر المصادر أن شكر جاء إلى مصر وأنه طلب من المستنصر معونة مالية كبيرة يستطيع بها أن يعيد نفوذه بمكة بعد أن يجذل العطاء لرؤساء القبائل البدوية ، وبعض الأشراف المعارضين لحكمه ، خاصة وأن الأحوال الاقتصادية كانت سيئة بمكة نتيجة للقحط والغلاء الذى ساد المنطقة، مما أدى إلى ندرة وجود الخبز والاحتياجات الضرورية خاصة وأن مصر كانت قد أوقفت المعونة الاقتصادية لأهل مكة نتيجة لموقفهم من الأمير شكر، ولم تستطع الدولة العباسية أن تحل محل مصر فى هذا المجال فلم تنقذ أهالى مكة من هذا القحط والغلاء لعدم قدرتها المالية وللاضطراب الذى ساد بلادهم نتيجة لصراع البويهيين والأتراك زمن الخليفة العباسى القائم ٤٢٢-٤٦٧ هـ (١) .

كل هذه الأسباب جعلت المكيين يعودون من جديد ويلتفوا حول شكر ويرتضوا بالنفوذ الفاطمى مقابل الحصول على المال والطعام ، فعادت الأوضاع من جديد كما كانت فى يد شكر سنة ٤٤٨ هـ بل إنه استطاع

(١) الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٦٠

أيضاً أن يعيد سيطرته على المدينة وأعاد النفوذ الفاطمي من جديد في مكة والمدينة وعادت هبة الخليفة المستنصر إلى المناطق المقدسة بعد أن ضلعت زمن الاضطرابات التي أحدثتها الشدة العظمى . وعادت الخطبة من جديد للخليفة المستنصر بالله حتى توفي شكر ٤٥٣ هـ^(١) .

تعتبر وفاة شكر بداية للاضطرابات في العلاقات الفاطمية الحجازية وخصوصاً عندما تولى شئون مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد^(٢) ، وكان زوج ابنة شكر الذي لم يعقب ولداً ، فقد أقام الدعوة في أول الأمر للمستنصر ولكنه سرعان ما أمر بإقامتها للخليفة العباسي القائم بأمر الله^(٣) . ورغم إلغاء الخطبة للخليفة الفاطمي إلا أن الأذان استمرت به عبارة (حى على خير العمل)^(٤) مما يعنى أنه رغم إسقاط اسم المستنصر إلا أنه من حيث المظهر فقد ظل المذهب الشيعي قائماً في الحرمين . ولكن الظروف

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ٤٢ ، أحداث ٤٦٨ هـ

- ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٩٧ ، ٩٨

- العيني : عقد الجمان ، ج ١١ ص ٤٠

- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٨

- الزيلعي : مكة وعلاقاتها ص ٦١

(٢) جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٠

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤٠

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢٠

- ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٢٢٤

(٣) المقرئزي : إتمام الحنفا ، ج ٢ ص ٣٠٢

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٠

(٤) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٢٤

كانت في صالح المستنصر في ذلك الوقت فقد ظهر على الساحة الصليحيين حكام اليمن الذين كان لهم الفضل في إعادة الخطبة للمستنصر في الحرمين بعد ما طلب منهم المستنصر هذا الأمر وعمل على استمالة أهلها بالإغداق عليهم بالأموال ، بل إنه أعاد الأمن والسكينة إلى قلوبهم واستقرت أحوالهم الاقتصادية ، كما كسا الكعبة بتياب بيض شعار الفاطميين^(١) ، كما كان للصليحيين الفضل في إعادة قناديل الكعبة وستورها وصنائح باب الكعبة والميذاب التي كان بنو سليمان قد أخذوها معهم إلى اليمن^(٢) ، ولكن سرعان ما قطعت الخطبة مرة أخرى زمن الشدة العظمى وما أصاب مصر من اضطراب اقتصادي وسياسي أدى إلى انقطاع الأموال التي كانت ترسل إلى الأمير محمد بن جعفر وإلى مكة فقطع الخطبة للمستنصر وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله^(٣) ، وأرسل للسلطان أرسلان السلجوقي حاكم بغداد ٤٦٢ هـ يخبره بإعادة الخطبة للخليفة العباسي والسلطان وإسقاط الأذان الشيعي ، فأرسل له ثلاثين ألف دينار وخلع كما حدد له راتباً سنوياً يقدر بعشرة آلاف دينار^(٤) ، أما أمير المدينة المنورة فقد عرض عليه الخليفة

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٤

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢١

- ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٢٥

(٢) ماجد : السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٧ ، ص ٤٧ - ٥٠

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٢

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢١

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢٢ ، ١٢٣

(٤) العمرى : مسالك الأبصار ، ج ٢٤ ، ص ٩

- جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٢

- ماجد : الدولة الفاطمية ، ص ٢٢٧

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩

العباسى عشرين ألف دينار ، وخمسة آلاف كل سنة ولكنه رفض هذا العرض واستمر على ولائه للخليفة الفاطمى .

ويذكر المؤرخون أن الخطبة بمكة استمرت بعد ذلك للخليفة القائم لمدة أربع سنوات^(١) وإننا نعتقد أن تحول ولاء أمراء مكة عن الفاطميين إلى العباسيين إنما يرجع إلى احتياجهم للمال وقد سبق إيضاح ذلك بالتفصيل فى الصفحات السابقة .

وتذكر المصادر التاريخية أن أمير مكة استغل فرصة إعلانه الخطبة للخليفة العباسى وتحسن علاقاته به وانشغال الفاطميين عنه بشئونهم الداخلية، فأعلن انضمام المدينة له ولقب نفسه بأمير الحرمين بعد أن أزال عنها إمرة بنى مهنى وخطب فيها للخليفة العباسى القائم ٤٦٥ هـ^(٢) .

وقد أعاد الخليفة العباسى الأموال الكثيرة على شريف مكة . ولكن رغم هذا لم يستمر هذا الولاء مدة طويلة فقد تحسنت أحوال الخلافة الفاطمية مرة أخرى ودخل بدر الجمالى مصر ٤٦٦ هـ^(٣) ، وتولى الوزارة وقضى على الفوضى السائدة بالبلاد ، وتحسنت الأحوال الاقتصادية . ثم بدأ الاهتمام بشئون بلاد الحجاز فأرسل الخليفة الفاطمى إلى أمير مكة يدعوه إلى العودة إلى حظيرة الدولة الفاطمية وإعادة الخطبة له على منابر الحرمين الشريفين وقد شجعه على ذلك وفاة الخليفة العباسى ٤٦٧ هـ وكذا السلطان ألب

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٩٨

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢

(٢) جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢١

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢٢ ، ١٢٣

(٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢١

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢٢ ، ١٢٣

أرسلان . وعندما تبطأ أمير مكة فى تنفيذ هذا المطلب هده أن يخلعه من أمر الحرمين وأن يولى بدلاً منه آخر^(١) . ويذكر أن الأشراف اجتمعوا لمناقشة هذا الأمر ونصحوه بالعودة إلى حظيرة الدولة الفاطمية وخصوصاً أنهم سيحصلون على الأموال التى سبق وقطعت زمن الشدة المستتصرية ، وفى هذا الصدد يذكر ابن الجوزى رأى الأشراف من الهاشمية بقولهم : " إنما سلمنا هذا الأمر إلى بنى العباس لما عدنا المعونة من مصر ، ولما رجعت إلينا المعونة فإننا لا نبغى بابن عمنا بديلاً "^(٢) .

وعاد أمير مكة إلى الدعاء للخليفة الفاطمى المستنصر على غير رغبة منه وخصوصاً عندما اشتد القحط بمكة وانعدمت الأقوات وقطعت الميرة الآتية من بغداد ، فأعاد ما كان للفاطميين من دعاء وأذان وخطبة واضطر إلى خلع اللوح الموضوع على بئر زمزم وكان يحمل ألقاب الخليفة القائم والسلطان ألب أرسلان ، كما نزع الكسوة العباسية من فوق الكعبة ووضع مكانها الكسوة الفاطمية الديقية البيضاء التى تحمل ألقاب الخليفة الفاطمى المستنصر بالله^(٣) . ولكن هذا الحال لم يستمر طويلاً فقد عادت الخطبة إلى الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله عندما أرسل الأموال إلى أشراف مكة والمدينة حتى وفاته ٤٨٧ هـ ، والحقيقة أننا لو تتبعنا مجريات الأمور فى

(١) المقرئى : إتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣١٩

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١٢٣

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٩٨

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٩٧

- جمال سرور : النفوذ الفاطمى ، ص ٢٢

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٤٢

- ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٩٤

- المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢١١

تلك الفترة سجد أن الأمير محمد بن جعفر لم يستغل الأموال التي كان يحصل عليها طيلة سنوات حكمه في إقرار الأمن والأمان بالأراضي المقدسة بل كان كل همه الحصول على هذه الأموال سواء من الخلافة العباسية أو الفاطمية وإقامة الدعوة للخليفة الذي يجزل العطاء . ورغم ما كان ينقله الخلفاء الفاطميون من أموال على أهل الحرمين إلا أن سلطانهم على الأراضي المقدسة كان يشوبه عدم الاستقرار دائماً نتيجة لما كان يحدث من اضطرابات اقتصادية وأزمات داخل المجتمع المصري .

استمرت الخطبة للخليفة العباسي دون الفاطمي حتى ٥٢٧ هـ عندما تولى أمر مكة الأمير هاشم بن فليته الذي أعاد الخطبة من جديد للخليفة الفاطمي الحافظ ورغم هذا كانت الخطبة تقام في نفس الوقت للخليفة العباسي المقتدى حتى توفي فأقيمت للخليفة المستجد بالله ٥٤٩ هـ (١) .

وفي نفس الوقت كانت العلاقات الفاطمية الحجازية وثيقة ويتضح هذا من أسلوب أمير مكة القاسم الذي تولى الأمانة ٥٤٩ هـ ، فرغم الدعاء للخليفة المستنصر بالله إلا أنه كان يرسل السفارات إلى الخليفة الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك وتعتبر سفارة عمارة اليمنى خير دليل على هذا ، فهناك قصيدة أوردها ابن خلكان يمتدح فيها عمارة اليمنى الخليفة الفاطمي الفائز ووزيره الصالح طلائع ورغم هذه السفارات المتكررة لم يخطب للفاطميين بالأراضي المقدسة (٢) .

والحقيقة أنه رغم اهتمام خلفاء العصر الفاطمي الأول بأمر الأراضي المقدسة ومحاولة السيطرة عليها لإضفاء الشرعية على خلافتهم إلا أن خلفاء زريزاء العصر الفاطمي الثاني لم يهتموا بهذا الشأن رغم وجود بعض النفوذ لهم داخل تلك المناطق وخصوصاً أن ولاية مكة في العصر الفاطمي الثاني حرصوا على إظهار الولاء للفاطميين والاحتفاظ ببعض مظاهر المذهب الشيعي .

(١) جمال سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٢٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦

الفاطميون والحج :

اهتم الفاطميون منذ اليوم الأول لإقامتهم بمصر بشئون الحج والحجاج كنوع من تأكيد السيادة الروحية والسياسية في مكة فترة أوان الفريضة . لذا فقد اهتموا اهتماماً كبيراً بقافلة الحج وتكوينها على أعلى مستوى . كما اهتموا أيضاً بإرسال الهدايا المختلفة للأراضى المقدسة بصحبة الوفد الرسمى المرافق لقافلة الحجاج إلى جانب الصلوات والنفقات التى ترسل إلى أشرف مكة فى هذا الوقت من العام . كما اهتموا بعرض تلك الهدايا والهبات قبل إرسالها على الشعب فى احتفال دينى أصبح ضمن العادات المعروفة التى اتبعت فى هذه المناسبة .

كذلك لم يغفل الفاطميون العناية بالطرق التى يسلكها الحجاج وتأمينها فأنفقوا أموالاً طائلة فى تأمين هذه الطرق وإرسال أعداد كبيرة من الجند لحراسة قوافل الحجيج .

ويبدأ الاحتفال رسمياً بموسم الحج عندما يتم إعلان هذا عن طريق مرسوم من الخليفة يقرأ فى منتصف شهر رجب ينبه الشعب إلى حلول موسم الاستعداد لتجهيز ركب الخليفة المرسل إلى الأراضى المقدسة ثم يذاع هذا المرسوم مره أخرى فى شهر رمضان .

وفى هذا الصدد يذكر ناصر خسرو : أنه جرت العادة على أن يقرأ مرسوم سلطانى فى المساجد فى منتصف شهر رجب يقول : " يامعشر المسلمين ، حل موسم الحج وسيجهز ركب السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيول واليزاد ^(١) ، وينادى بهذا

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٥ طبعة الألف كتاب الثانى رقم ١٢٢ .

- ماجد : الحاكم بأمر الله ، ص ١٥١

- ماجد : الخليفة المستنصر بالله ، ص ١١٨ - ١١٩

- ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٢١

المعنى أيضاً فى شهر رمضان . أما سفر الحجاج فيبدأ من أول ذى القعدة (١) .

وأما المقرئى فيذكر أن قافلة الحج لسنة ثلاثمائة وخمس وتسعون " قد برزت فى أول ذى القعدة إلى مصلى القاهرة ثم رفعت إلى جب عميره فى سابعه وسارت ليلة العاشر منه كالعادة (٢) " .

وقد كانت قافلة الحج فى زمن المعز يتم مسيرتها فى منتصف ذى القعدة واستمر هذا التقليد حتى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله حيث عدل موعد مسيرة الحجاج إلى أول ذى القعدة ولكنه لاحظ أن كثيراً من الحجاج كانوا يعودون دون أن يتمكنوا من زيارة قبر الرسول الكريم (٣) ، ولذا أصدر مرسوماً سنة ٤٠١ هـ يقضى بخروج قافلة الحجيج فى منتصف شهر شوال (٤) .

أما الوفد الرسمى الذى يرافق بعثة الحج الفاطمية فقد كان اختياره يتم على أعلى مستوى. فيصدر مرسوم من الخليفة بتعيين (أمير للحج) يكون من أبرز الشخصيات بالدولة يتصف هذا الأمير بالشجاعة والهيبة والبلاغة وسرعة البديهة حتى يستطيع أن يتولى أمور الحجاج سواء الإشراف على القافلة ، أو القيام بشعائر الحج للمسلمين عامة بالأراضى المقدسة وخصوصاً أن أمير الحج الفاطمى غالباً ما كان هو الأساس فى إقامة الشعائر بمكة والمدينة (٥) ، ويكون أمراء الحج للبلدان الأخرى تابعين له فى أثناء أداء المناسك .

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٢٥

(٢) المقرئى : إتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٥٩

(٣) المقرئى : إتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٨٦

(٤) المقرئى : إتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٨٦ هامش (١)

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٣٥

-- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٩٠

وقد أورد لنا الماوردى فى باب الولاية^(١) على الحج الصفات الواجب توافرها فى أمير الحج وما يقوم به من مهام عظام فى هذه الرحلة الدينية المقدسة . فيذكر : أنه يجب أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه عارفاً بمواقفته وأيامه ويجب أن يكون بليغاً وخصوصاً أنه مطالب بأن يخطب فى الحجيج سواء المصريين أو غيرهم ما لا يقل عن أربع خطب فى أوقات مختلفة وأماكن مختلفة أيضاً ، ولم تكن هذه الخطب تقتصر على التعاليم الدينية فقط بل تحمل بين طياتها أغراضاً سياسية وخصوصاً خطبة يوم عرفة ويوم النحر، فكان يدعى للخليفة الفاطمى ويظهر بعض تعاليم الدعوة الفاطمية.

والحقيقة أننا لو تتبعنا أخبار أمراء الحج الفاطميين فإننا نجد أن جميع المصادر لم تذكر لنا أسماءهم بعكس أمراء الحج العباسى الذين ذكرت أسماؤهم عند ذكر أخبار موسم الحج لكل سنة من السنوات رغم أنه فى معظم الأحيان كان أمير الحج المصرى (الفاطمى) هو سيد الموقف واعتقد أن هذا لم يكن سهواً من المؤرخين خاصة السنيين منهم .

ولكن أحياناً كان يذكر اسم أمير الحج المصرى حين ذكر بعض الأحداث فصاحب النجوم الزاهرة يخبرنا أن أمير الحج للخليفة العزيز بالله سنة ٣٦٧ هـ كان باديس بن زيرى الصنهاجى وكان من الشخصيات الفاطمية التى تتميز بالقوة والدبلوماسية والبراعة إلى جانب اهتمامه بسلامة قافلة الحج ومرأوغة اللصوص وتأديب من أقلق راحة أفراد القافلة بإقامة الحد عليه^(٢) .

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٠٨، ١١٢، طبعة الحلبي ١٩٧٣

- القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٤ ، ص ٤١٠

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٩٠

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١١٠

كما أعاد الخطبة للعزیز مرة أخرى بعد انقطاعها مدة من الزمان^(١).

ومن أمراء الحج الذين ورد ذكرهم أيضاً أبو الفتح أحمد بن عمر العلوی فقد ذكر أبو المحاسن فی أحداث سنة ٣٧٠ هـ أن أمير الحج بمكة والمدينة كان أحمد بن عمر العلوی وأن هذا الرجل سبق له أن أمر على قافلة الحج لعدة مرات^(٢). ومن هذا نستطيع أن نستخلص أن أمير الحج أحياناً كان يتولى أمانة الحج أكثر من مرة .

وإذا كانت وظيفة أمير الحج تتسم بالطابع السياسی وأحياناً بالطابع العسکری فإننا نجد وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن وظيفة أمير الحج وهى وظيفة (قاضى الרכب) فمن الاسم نستخلص أنها وظيفة دينية فقهية فى المقام الأول . ولذا فقد كان الخليفة يصدر مرسوماً باختيار قاضى الרכب من الشخصيات الدينية الهامة فى الدولة يتمتع بشخصية قوية ، ملم بأحكام الشريعة الإسلامية ومبادئ المذهب حتى يتمكن من النظر فى أمور الحجاج وحل الخلافات التى تحدث بين أفراد الרכب بطريقة سلمية ، ويكون المسئول الأول عن جميع الأمور الفقهية وتقديم الفتاوى فى حالة احتياج الحجاج إليها.

أما الوظيفة الثالثة التى يتضمنها الوفد الرسمى لقافلة الحج فهى وظيفة (شهود الרכب) . وقد اهتم الفاطميون بهذه الوظيفة واختاروا لها شخصيات هامة من أهل الثقة ترافق الموكب الرسمى للحج وغالباً ما تكون تلك الوظيفة ثابتة يعتليها موظفون رسميون لا يتغيرون إلا حين يصلوا إلى سن التقاعد أو العجز عن مواصلة رحلة الحج^(٣) .

(١) جمال مرور : النفوذ الفاطمى ، ص ١٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٣٩ ، أحداث ٣٧٠ هـ

(٣) القلقشندي : صح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٩٣

أما وظيفة (سابق الحج) فكان يكلف بها رجل على قدر كبير من الدقة وتكون مهمته العودة السريعة بعد تمام مذاذك الحج وقبل وصول الوفد الرسمى وقافلة الحج بفترة كافية حتى يتم تقديم تقرير رسمى لل خليفة يتضمن أحوال الأراضى المقدسة ، وأهم الأحداث اللافتة للنظر خلال موسم الحج .

وقد أورد لنا ابن ميسر إشارات كثيرة عن مهام سابق الحج وأهمية هذه الوظيفة . فذكر أنه فى زمن الخليفة المعز لدين الله الفاطميين ورد سابق الحج فأخبر الخليفة بإقامة الخطبة له بمكة المكرمة ومسجد سيدنا إبراهيم يوم عرفة ومدينة رسول الله ﷺ وسائر أعمال مكة ، وكان هذا أول موسم دعى فيه لل خليفة الفاطمى بصورة رسمية فى مكة والمدينة^(١) . هذا ولو أن ابن الأثير يذكر أن الخطبة قد أقيمت للمعز بمكة والمدينة فى موسم حج سنة ثلاث وستون وثلاثمائة^(٢) .

وغالبا ما كان الخليفة يحتفل بعودة سابق الحج فإذا وصل إلى القاهرة معلنا إقامة الخطبة لل خليفة يقام احتفال رسمى بهذه المناسبة ويخلع عليه ويركب على رأس موكب يطوف به المدينة كلها عارضا ما حصل عليه من هبات وهدايا خليفية ، وقد أورد لنا ابن ميسر بصورة منتظمة كل عام وصول سابق الحج وابتهاج الخليفة بعودته . وأعتقد أن اهتمام ابن ميسر بذكر اسم سابق الحج وذكر وصوله بصورة منتظمة كل عام يعنى أهمية هذه الوظيفة فى الوفد الرسمى لموكب الحج^(٣) .

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٦٧

- المقرئى : إتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٢٥

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص ٨ ، ٦٤٧

(٣) انظر ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، فى أماكن متفرقة .

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٨٦

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٩٤

وغالباً ما كان هذا الرجل يصل من مكة إلى القاهرة فى مدة لا تتجاوز أحد عشر يوماً وهى مدة قصيرة إذا ما قورنت بمدة عودة القافلة التى تستغرق شهراً كاملاً فى رحلة العودة .

أما الاحتفال الذى كان يتم لتوديع قافلة الحج فقد بالغ الخلفاء الفاطميون جميعاً فى هذا الشأن . فكان يبدأ بالإعلان عن بدء موسم الحج فى منتصف شهر رجب فيقرأ مرسوم على منابر مساجد مصر والقاهرة يذكر فيه أن الخليفة يعلن للمسلمين أن موسم الحج قد بدأ الاستعداد له ، وسيجهز الركب كالمعتاد كل عام ويعلن اسم أمير الحج ، والقاضى المرافق للقافلة وسابق الحج وغيرهم من كبار موظفى الدولة المرافقين لهذه القافلة إلى جانب الإعلان عن اشتغال الركب على الجند والخيل والجمال والزاد^(١) حتى يطمئن الناس إلى استقرار الأمن ، ثم يتم الإعلان مرة أخرى بذلك فى شهر رمضان . ويبدأ الحجاج بالتجمع ابتداءً من أول القعدة سواء المصريين منهم أو الوفود الآتية من بلدان أخرى لترافق الركب المصرى سواء من شمال أفريقيا والأندلس وغيرها ...

ويكون هذا التجمع بمنطقة قرب القاهرة عرفت " ببركة الحجاج " أو " جب عميره " ^(٢) . فيتجمع توديعهم من قبل الخليفة وكبار رجالات الدولة بصورة رسمية . حيث يرتدى الخليفة زيه الرسمى وعلى رأسه عمامته مرصعة بالجواهر والمظلة مرصعة ومكحلة بالأحجار الكريمة - من شعائر

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٥

(٢) جب عميره كانت معسكراً لعشيرة عميرة من قبيلة تميم ، ثم أطلق عليه أرض الجب ثم بركة الحجاج زمن الدولة الفاطمية من أجل نزول الحجاج فيها ومكانها اليوم القرية المعروفة باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية فى الشمال الشرقى من القاهرة . (المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٦٣ - أبو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٨ - المسبحى : أخبار مصر ، ص ٦٩) .

الأئمة - منشورة عليه فيجلس في توديع الحجاج على دكة تسمى دكة الوقار (١) .

ومنذ بداية عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمصر وقافلة الحج المصرية تحمل معها الأعطيات والهدايا لأهل الحجاز وللأشراف فيذكر المقرئى " أنه فى سنة أربع وستين وثلاثمائة أطلق المعز الجائزة لوفد الحجاز من الأشراف وغيرهم مبلغها أربعمائة ألف درهم " (٢) .

ويذكر أيضا أن قافلة الحج لسنة ثمان وستون وثلاثمائة زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي حملت معها صلوات الأشراف من القمح والشعير والدقيق والزيت والحبوب إلى جانب محراب من ذهب للكعبة المشرفة (٣) كما أمر العزيز فى موسم سنة تسع وستين وثلاثمائة بتجهيز قافلة الحج كالمعتاد وإرسال كسوة الكعبة وصلوات الأشراف والطيب والشمع والزيت فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار (٤) أما فى سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة فقد أمر العزيز فى منتصف ذى القعدة بتسيير قافلة الحج وإرسال كسوة الكعبة والصلوات الخاصة بالأشراف وغيرها مما جرت العادة على إرسالها فبلغت ثلاثمائة ألف دينار عينا وورقا (٥) أما فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة زمن الخليفة الحاكم بأمر الله فقد سارت قافلة الحج وهى تحمل معها الصلوات والنفقة على الرسم المعتاد فى كل سنة .

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ١١٦

- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٢

- ماجد : المستنصر بالله ، ص ١١٩

(٢) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٦٦

- المقرئى : إيعاظ الحنفا ، ص ٢١٦

(٣) المقرئى : إيعاظ الحنفا ، ص ٢٤٦

(٤) المقرئى : إيعاظ الحنفا ، ص ٢٥٢

(٥) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٧١

أما فى عهد الخليفة المستنصر بالله ووزارة اليازورى فقد بلغت مائتى ألف دينار^(١) .

والحقيقة إننا لو تتبعنا نفقات صلات الأشراف التى كان يرسلها الخلفاء الفاطميون من مصر إلى بلاد الحجاز كل عام فإننا نجدها مستمرة ومتزايدة عاماً بعد عام منذ عهد الخليفة المعز لدين الله حتى آخر عهد الخلفاء الفاطميين فيما عدا سنوات قليلة حينما كانت تضطرب أحوال البلاد الاقتصادية نتيجة لقحط أو مجاعة أو غيرها . وإذا حدث وأعلن عن عدم خروج أحد من أهل مصر لأداء الفريضة لا تمنع الصلات ولا الهدايا وخصوصاً كسوة الكعبة فقد كانت تخرج بعثة رسمية من قبل الخليفة تحمل الكسوة وصلات الأشراف رغم عدم خروج قافلة للحج^(٢) .

أما عن الهدايا التى كان يرسلها الخلفاء الفاطميون بصفة منتظمة إلى بلاد الحجاز والتى تمثل نوعاً من الهيمنة وإظهار الوجود الفاطمى فى موسم الحج فتمثل فى :

أولاً : الشمسسة وهى نوع من الحلية ترسل إلى الكعبة فى موسم الحج فى صحبة قائد خاص لتعلق فى وجه الكعبة وهى تشبه الشمس ولها اثنا عشر ذراعاً تشبه أشعة الشمس تمثل أشهر السنة ، والأهلة الموجودة فى نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية^(٣) .

(١) المقرئزى : الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ١٤

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٥

- (٣) المقرئزى : إتماظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٠

- ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٦١

- أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر المالية والاقتصادية فى

العصر الفاطمى ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

- الزيلعى : مكة وعلاقاتها ، ص ٩٨

أما عن وصف الشمس فذكر أن سعتها اثنا عشر شبراً في أثني عشر شبر وأرضها ديباج أحمر ، ودورها اثنا عشر هلالاً ذهباً في كل هلال أترجة (*) ذهب مشبك ، جوف كل أترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر وحشو الكتابة در كبار لم ير مثله وحشو الشمس المسك المسحوق^(١) .

ويعتبر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أول خليفة فاطمي يرسل تلك الهدية القيمة ليتم تعليقها في صدر الكعبة في موسم الحج كنوع من الهيمنة وإثبات الوجود الفاطمي الديني والسياسي في بلاد الحجاز .

وإذا تتبعنا أمر تلك الهدية (الشمس) فإننا نجد إنها لم تكن من اختراع الفاطميين وإنما جرى العرف أن ترسل هدية قيمة تعلق في صدر الكعبة منذ أقدم العصور فكان الخلفاء الأمويون ثم العباسيون يرسلون هدايا لوضعها في صدر الكعبة مثل القناديل المصنوعة من الذهب مكالة بالدرر

(*) الأترجة والأترج بضم الهمزة وتشديد الجيم فيها شجرة يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره كالليمون الكبار وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة عصيره حامض . مختار الصحاح ، ص ٧٦ .

- المعجم الوجيز ، ص ٤ ، والمقصود هنا ثمرة الليمون المصنوعة من الذهب المشبك الموضوع داخل هلال من الذهب .

- انظر أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي ، ص ٢٥١ هامش ٣

(١) ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٦١ ، ١٦٢

- المقرئ : إتحاف الحفا ، ج ١ ، ص ١٤١

- ذكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٣٨

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٨٣

- أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة المسلمين ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

الفاخر والياقوت والزبرجد وجعل لها سلسلة من ذهب لتعلق في وجه الكعبة لإظهار الهيمنة على تلك المناطق. وكانت ترسل مع ركب الحج يرافقها حرس^(١) لتسليمها لحجبة الكعبة ثم تعاد إلى دار الخلافة من جديد بعد انتهاء الموسم كما صنع الأخشيد أيضا شمسه أرسلها مع موكب الحجاج^(٢).

وعندما فتح الفاطميون مصر اهتموا بأمر الشمسمة حتى توضع في صدر الكعبة ويذكر المقرئ أن الخليفة المعز عندما أمر بصنع تلك الهدية القيمة في عام ٣٦٢ هـ لم يشرع في إرسالها لتوضع في صدر الكعبة في هذا العام ، وإنما أقام لها احتفالا ضخما وأمر أن تنصب أعلى إيوان قصره حتى يراها الناس من خارجه لعلو موضعها ، ثم أرسلت في العام التالي يرافقها بعثة الحج الرسمية وسلمت إلى سدة الكعبة لتعاد بعد انتهاء موسم الحج^(٣).

أما الهدية الثانية القيمة التي اهتم الفاطميون بإرسالها فهي كسوة الكعبة^(٤) . وكسوة الكعبة من العادات القديمة التي كان يقوم بها العرب في الجاهلية وأول من كسا الكعبة في الجاهلية أسعد تبع الحميري وقد كساها الانطاع ثم كساها الوصائل ثياب حيره من عصب اليمن . ثم أصبحت تكسى بعد ذلك بمطارف الخز الخضراء والصفراء وبشقائق السعير والكرار وهو الخيش الرقيق وذكروا أن الكعبة كانت مكسوة والنبي ﷺ يومئذ بمكة قبل

(١) المقرئ : إتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤١

(٢) المقرئ : إتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٢

(٣) المقرئ : إتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٠

(٤) الكسوة بكسر الكاف وضمة وكون السين : اللباس أو ما يتخذ من الثياب للستر والحلية والجمع : كسا بضم أوله على وزن تقي والفعل منه كسا يكسو ، والمصدر كسو فلانا اكسوه كسوة إذا ألبسته ثوبا أو ثيابا فاكتسى . (سلام شافعي محمود سلام : بنو شيبه حجة الكعبة نقلًا عن ابن منظور ، لسان العرب ج ٥ ، مادة كسا .

الهجرة بكسى شتى وصائل (*) وأنطاع (*) وكرار (*) وخز ونمارق عراقية^(١) ويرد . وجرب العادة أن يتسلم سدنة الكعبة هذه الكسوة ويلبسونها للكعبة بعضها فوق بعض . وغالبا ما كان يحتفظ السدنة بكساوى كثيرة تحفظ لحين استخدامها ولا ينتزع شئ منها^(٢) .

وذكر الأخباريون أن قريشا كانت فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها منذ عهد قصى بن كلاب إلى أن ظهر ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يختلف إلى بلاد اليمن يتجر بها ، فأثرى من المال فكان يكسوها وحده سنة وجميع قريش تكسوها سنة أخرى على التعاقب^(٣) .

وقد كسى الرسول ﷺ الكعبة المشرفة بالثياب اليمنية ، وكذلك كساها أبو بكر وعثمان من القباطى من بيت المال وكان يصدر مرسوم من الخليفة إلى والى مصر لتصنيع هذه الكسوة فى مصانعها وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) أرسل كسوتين للكعبة من ديباج وقباطى وحبره^(٤) .

(*) الوصائل : ثياب حمر مخططة يمانية الصنع .

(*) الأنطاع : جمع نطع وهو بساط من الجلد .

(*) الكرار : الخيش الرقيق .

(١) ابن هشام : سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢١١

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٥١

- جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٦ ص ٤٤٣

(٣) ابن هشام : سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢١١

- عبد العزيز سالم : تاريخ العرب فى عصر الجاهلية ، ص ٣٧٠ - ٣٧١

- جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٦ ، ص ٤٣٣

(٤) سبدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٧

- حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى ج ٣ ، ص ٣٢٣ ، الطبعة الثالثة ١٩٥٥

- أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر المالية والاقتصادية فى

العصر الفاطمى ، ص ٢٣٥ (رسالة دكتوراة منشورة) .

- سلام شافعى : بنو شيبه حجية الكعبة ، ص ٨١

وكانت الكعبة تكسى فى عصره بالديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر شهر رمضان^(١) واستمرت الكسوة ترسل مرتين طوال عصر خلفاء بنى أمية ، وكذلك فعل العباسيون فكانت ترسل فى أول الأمر كسوتين واحدة من ديباج والأخرى من قباطى ثم أصبحت الكعبة تكسى بالديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من شهر رمضان^(٢) .

ويرجع كثرة عدد كساوى الكعبة إلى أن الكسوة كانت لا تتحمل العوامل المناخية الصعبة لمكة حيث الحرارة الشديدة والسيول القوية لذا فقد كانت تتحرق بسرعة لذا أمر الخلفاء العباسيون بضرورة صنع كسوة الكعبة من نوع جيد من الأقمشة لتتحمل العوامل الطبيعية القاسية وصارت ترسل مرة واحدة فى العام^(٣) .

أما الخلفاء الفاطميون فقد اهتموا بأمر كسوة الكعبة وإرسالها إلى مكة المكرمة مع بعثة الحج الرسمية كل عام منذ قدوم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله واستقراره بمصر والدعاء له على منابر الحرمين^(٤) . فكانت تصنع من

-
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
 - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .
 - حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى ج ٣ ، ص ٣٢٣ .
 - سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٧ .
 - معاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٧ .
 (٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .
 - سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ١٩٠ .
 - (٣) سلام شافعى : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
 - (٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .
 - معاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٧ .
 - سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٧ .
 - أمينة الشوربجى : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر المالية والاقتصادية، ص ٢٣٥ .

قماش القباطى وهو خليط من أجود أنواع الكتان المصرى الأبيض وبه زخارف كتابية على شكل دوائر . كما كانت تصنع كسوة أخرى من الديباج الأحمر المعروف بالخسروانى وآيات قرآنية^(١) . وكانت ترسل مرتين فى السنة فترسل كسوة الكعبة المصنوعة من الديباج لتكسى بها الكعبة فى عاشوراء وتكسى بالقباطى فى شهر رمضان^(٢) .

وكانت كسوة الكعبة تصنع فى مصانع خاصة بها بمدينة تنيس^(٣) .

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧

- حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى ، ج ٣ ، ص ٣٢٣

- سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٧

- سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٧

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧

- حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسى ، ج ٣ ، ص ٣٢٣

- سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٧

- سعاد ماهر : النسيج الإسلامى ، ص ٧

(٣) مدينة تنيس مدينة قديمة بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة والياء

المنقوط باثنتين من تحت السين المهملة وسميت تنيس نسبة لتنيس بن حام بن نوح

عليه السلام. أما موقعها الحالى فيذكر محمد رمزى أن الجزيرة التى تقع عليها لاتزال

موجودة ببحيرة المنزلة حيث عثر على بقايا من الطوب المتخلف من مبانيها القديمة .

- محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ج ١ ، ص ٩٨

- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٩٢ ، هامش ١

- ابن دقمان : الانتصار ، ج ٢ ، ص ٧٨ - أبو الفداء : معجم البلدان ، ص ١١٩

وهناك تقرير لبعثة الحفائر الإسلامية لموسم ١٩٧٩ التى قامت بالتنقيب فى المنطقة

الأثرية فى تل تنيس والتى أثبتت أن تلك المدينة تقع إلى الجنوب الغربى من مدينة

بور سعيد وعلى بعد سبعة كيلو مترات داخل بحيرة المنزلة : أرشيف الحفظ العلمى

الإسلامى - موسم حفائر ١٩٧٩

والحقيقة أن الخلفاء الفاطميين اهتموا اهتماماً كبيراً باستمرار إرسال كسوة الكعبة كل عام حتى في السنوات التي لا يخرج فيها أحد من مصر لأداء فريضة الحج^(١).

ثالثاً : ومن الهدايا التي كانت ترسل مع كسوة الكعبة الأستار الخاصة بضريح الرسول ﷺ ، وكانت تتكون من أربع وأربعين قطعة من الحرير الأبيض مع مثيلاتها من الكتان الأبيض وكانت زخرفة هذه الكسوة تتوقف على حالة مصر المالية^(٢).

(١) يذكر ناصر خسرو أنه في سنة ٤٤٠ هـ أعلن الخليفة المستنصر بالله عدم خروج قافلة الحج لهذا العام بسبب انتشار المجاعة والأوبئة بمكة المكرمة ، إلا أنه أرسل كسوة الكعبة وأجور الخدم والحاشية إلى جانب صلة أمراء مكة والمدينة التي قدرت في ذلك الوقت ثلاثة آلاف دينار مع أحد القضاة التابعين لبعثة الحج التي خرجت من بلاد الشام . (ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٨ - ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٢١)

(٢) عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص ١١١ ، هامش ١

طرق الحج :

اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بطرق الحج وتأمينها وتزويد قافلة الحج بقوة عسكرية ضخمة ترافق الحجاج إلى مكة ولم يخلوا في الإنفاق على تلك القوات فيذكر ناصر خسرو أن نفقة القوة العسكرية المرافقة للحجاج زمن الخليفة المستنصر بالله بلغت ألف دينار مغربى فى اليوم^(١) . كما كانت الدولة تتعهد ببعض الالتزامات للقبائل المسيطرة على الطريق الذى يسلكه الحجاج حتى تضمن عدم تعرض ركب الحجاج للسلب والنهب^(٢) .

أما الطرق التى كان يسلكها حجاج مصر فتتمثل فى طريقين .
أحدهما بحرى والآخر برى .

أما الطريق انبحرى عبر الجنوب فيبدأ من بركة الجب التى يبدأ عندها تجمع الحجاج ويتجه نحو الجنوب إلى مدينة منية ابن الخصيب^(٣) .

ثم انصنا بالوجه القبلى ثم تجتاز القافلة جبل المقلة وهو الشط الشرقى من النيل فى منتصف الطريق إلى قوص - ثم قرية منفلوط وهى على الشاطئ الغربى للنيل ثم إلى مدينة أسيوط وهى إحدى مدن الصعيد العامرة وبينها وبين الشط الغربى للنيل ثلاثة أميال ومنها إلى أبو تيج ثم أخميم

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٥

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٥

- سليمان عبد الغنى مالكى : طريق حجاج الشام ومصر ، ص ٤٥

(٣) منية ابن الخصيب : بلد على شاطئ النيل به أسواق كبيرة وحمامات ومرافق

وهى من المناطق الهامة لإقامة الحجاج للاستراحة بها لمدة يوم ، انظر ابن جبیر :

الرحلة، ص ٣٢

وبعدها إلى البلينة ثم قنا ويليها مدينة قفط شرق النيل وبعدها يصل الركب إلى مدينة قوص (*) .

ومن مدينة قوص تستطيع القافلة أن تسلك طريقين : الطريق الأول : يعرف بطريق العبيدين ، والآخر : طريق دون قنا إلى عيذاب .

أما مدينة عيذاب (*) فتعتبر من المدن الهامة التي تتجمع بها القوافل التجارية وكذا قوافل حجاج بيت الله الحرام لموقعها على شاطئ البحر

(*) مدينة قوص من أعظم مدن الصعيد وقاعدة إقليمية منذ العصر الفاطمي تعتبر من أشهر المناطق التجارية بالجنوب ففيها أسواق كثيرة ومرافق تجارية متعددة كثيرة الصادرات والواردت التجارية إلى جانب أنها إحدى المرافق الهامة للحجاج وقد زادت أهميتها عندما تحولت طرق الحج إلى الجنوب فأصبحت مركزاً من أهم المراكز التي يصل إليها الحجاج بالسفن النيلية ليواصلوا رحلتهم البرية إلى ميناء عيذاب .
انظر في هذا الصدد :

- ابن جبير : الرحلة ، ص ٤
- ياقوت : معجم البلدان ، ح ٥ ، ص ٢١٩
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣١ ، ١٣٢
- المقرئ : الخطط ، ح ١ ، ص ٢٢٦
- حسن إبراهيم حسن : المجلد في التاريخ المصري ، ص ١٧٢
- معاذ ماهر : محافظات مصر في العصر الإسلامي ، ص ٦٨
- عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٣٠
- (*) عيذاب : بفتح العين وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الذال المعجمة وألف وفي الآخر ياء موحدة - انظر ياقوت : معجم البلدان ، ح ٤ ، ص ١٧١ - أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٢٠ وتقع أنقاض مدينة عيذاب شمال ميناء حلايب على البحر الأحمر بمسافة ١٥ ميلاً وهي تقع أيضاً إلى الجنوب بقليل من خرائب بيرانيس القديمة الواقعة على خط عرض ٢٤ أو ٢٣,٥ من رأس بنياس الحالية - أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٥ .

- عطية القوصي : تجارة البحر الأحمر ، ص ١٢٨

الأحمر وقد زاد من أهميتها كونها تلعب دوراً هاماً في خدمة الحجاج فقد استمرت من أهم المسالك التي يسلكها الحجاج لأكثر من مائتي سنة^(١) وتمتعت تلك المنطقة زمن الدولة الفاطمية بالأمن والأمان فيذكر ابن جبیر أنه هاله ما شاهده في الطرق من كثرة القوافل التجارية الواردة المحملة بالسلع والواصلة من الهند والمتجهة نحو اليمن ثم من اليمن إلى عيذاب^(٢) .

ومن تلك السلع أحمال الفلفل والبهار والقرفة التي كانت مطروحة لأحارس لها وتترك بهذه السبيل نتيجة لإعياء الإبل الحاملة لها فتترك في وضعها إلى أن ينقلها صاحبها بدون أن يمسه أحد^(٣) .

وهذا دليل واضح على مدى ما اتصف به هذا الطريق من الأمن والأمان . وقد زادت أهمية عيذاب منذ سنة ٤٦٠هـ/١٠٧٦ م بسبب أحداث الشدة المستنصرية وخراب معظم بلدان الدلتا مما جعل القوافل التجارية وقوافل الحجاج المصريين تتحول من طريق شبه جزيرة سيناء وتتجه نحو طريق النيل لتصل إلى قفط وأدفو ثم أسوان ومنها عبر الصحراء الشرقية إلى عيذاب كما سبق أن ذكرنا^(٤) .

(١) المقریزی : الخطط ، ح ١ ، ص ٢٠٢

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٢

- أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة المسلمين ، ص ٣٣٧

(٢)

(٣) ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ، ص ٤٤

- القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٣ ، ص ٤٦٥

- المقریزی : الخطط ، ح ١ ، ص ٢٠٣

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٢

- عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٣٠

(٤) المقریزی : الخطط ، ح ١ ، ص ٢٠٢

- عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٣٠

وفى عيذاب يتجمع الحجاج ويقوم أهل عيذاب بنقلهم بسفن تعرف بالجلاب^(*) إلى ميناء جدة حيث يتم نقلهم إلى مكة المكرمة بواسطة الدواب^(١) ويتمّ تحصيل ضريبة على الحجاج تقدر بسبع دنانير ونصف الدينار ، وهذه الضريبة كانت باسم ميرة مكة والمدينة . وقد ألغيت زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٢ هـ^(٢) .

أما الطريق البرى فكان يبدأ من بركة الحاج حيث يتجمع الركب ، ثم تتحرك القافلة متجهة إلى البويب ثم عجرود ، ومنها تسير فى رحلة الالتفاف

(*) الجلاب : هى المراكب التى تسير فى المحيط الهندى والبحر الأحمر واستعملها أهل مصر والحجاز واليمن فى نقل الحجاج - وهى نوع من المراكب تصنع بطريقة لا يدخل فى صناعتها مسماراً - ظناً منهم أن قاع البحر الأحمر فيه حجر المغناطيس فإذا سارت السفينة بمسامير اجتذبها المغناطيس فتتفكك أو تفرق فكانوا يربطون ألواح الخشب فى ضميمه من حبال مصنوعة من قشر جوز الهند ويخللون بها بدس من عيدان النخيل وكانت هذه المواد تجلب من بلاد الهند واليمن ثم كانوا يصبون عليها سمن أو زيت الخروع أو دهن الحوت حتى يلين عودها ولا ينفذ فيها ماء .

- انظر ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٤٧

- درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ص ٢٧ ، ٢٨

- سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٢٣٨

- ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٧٦ -- ٧٧

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٣٠

- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٤١

- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٣٣

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٣٠

حول البحر لتصل إلى حقل ثم إلى الوجه فينبع ، وبعدها رابع وخليص فبطون
مر ثم إلى مكة المكرمة^(١) .

ويذكر ناصر خسرو أن قافلة الحج المصرية كانت تستغرق في هذا
الطريق خمسة عشر يوماً قاطعة صحراء يصل طولها إلى ثلاثمائة فرسخ .
وغالباً ما كان هذا الطريق هو الأمثل بالنسبة لمعظم القوافل المتجهة لأداء
فريضة الحج^(٢) .

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٠١

- الزيلعي : مكة وعلاقاتها ، ص ١٠٢

- سليمان مالكي : طريق حجاج الشام ومصر ، ص ٤٧

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٠١

الاحتفال داخل مصر بموسم الحج وعيد الأضحى :

منذ أن استقر الخلفاء الفاطميون بمصر واحتفالهم بموسم الحج وعيد الأضحى يفوق الوصف ، فقد أحاطوا هذه المناسبة بكثير من مظاهر الترف والبذخ ، وكانوا شديدي الحرص على مشاركة حجاج بيت الله الحرام فى الاحتفال بهذه المناسبة .

فمنذ قدوم المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م بدأت هذه لاحتفالات منذ اليوم الأول من ذى الحجة ، فتعقد مجالس الشعراء فى القصر ، وفى دار الوزارة حيث يتبارون فى مدح الخليفة والتهنئة بهذه المناسبة ، ويتم توزيع الأموال على اليتامى والفقراء^(١) . ويأمر الخليفة بالاستعداد لموكب عيد الأضحى وهو من المواكب العظام^(٢) فيتم استخراج الآلات والأسلحة المختلفة بالأنواع والأشكال وتسلم إلى النقباء حيث يأخذ كل واحد منهم ما يخص طائفته^(٣) .

وفى التاسع من ذى الحجة يبدأ الاحتفال الرسمى بعيد الأضحى أو " عيد الحجيج " كما كان يطلق عليه ، حيث يجلس الوزير فى داره عند آذان الصبح مستقبلا وفود المهنئين من كبار رجالات الدولة على مختلف طبقاتهم ،

(١) المقرئى : إيعاظ الحنفا ، ح ٣ ، ص ٩٥

- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، ص ١٤٥

(*) المواكب العظام : هى ركوب أول العام ، وركوب أول شهر رمضان وركوب الجمع الثلاثة من شهر رمضان ، وركوب عيدى الفطر والأضحى إلى جانب ركوب فتح الخليج ، انظر القلقشنفى : صبح الأعشى ، ح ٣ ، ص ٥٠٠ وما بعدها

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ح ٤ ، ص ٧٩

(٢) كان يتعهد كل نقيب طائفة باستلام ما يخص طائفته من أسلحة وأدوات تجميل وإعادةها إلى خزائن السلاح بعد انتهاء الموكب .

ثم يخرج موكبه إلى قصر الخليفة يتبعه أرباب السيوف والأقلام ، والأمراء والشعراء ، إلى جانب كبار رجال الدين المسيحي ، ورئيس طائفة اليهود ، فيدخلون قصر الخليفة لتقديم التهاني بهذه المناسبة^(١) .

يبدأ موكب الخليفة بالخروج من القصر متوجهاً إلى مصلى العيد لأداء صلاة العيد الجامعة ، ويقوم بإلقاء خطبة بليغة أعدت له خصيصاً في ديوان الإنشاء^(٢) ، ثم يعود بنفس الموكب إلى القصر ليستريح بعض الوقت ثم يخرج إلى المنحرف لذبح الذبائح التي توزع على الناس ، ويرسل بعضها بعد تجفيفها إلى بلاد اليمن وغيرها مع كتب التهئة لكل البلاد الخاضعة للدولة الفاطمية .

أما الوزير وكبار رجال الدولة فتقدم لهم المنح والهدايا كل حسب قيمته، ويقام لهم سباط خاص في الإيوان الكبير ، وهو غير سباط العامة^(٣) .

(١) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٤٢

(٢) المقرئى : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) المقرئى : المصدر السابق ، نفس الصفحة

- المقرئى : إتماظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٩٥ وما بعدها .

خاتمة :

بعد أن استعرضنا اهتمام الخلفاء الفاطميين بأمر الحج وبالأراضى المقدسة بمكة والمدينة ، والرغبة القوية فى السيطرة عليها وإعلان الخطبة فوق منابرها للخليفة الفاطمى ، وتقديم كثير من التسهيلات لأهل مكة وبذل الأعطيات لهم بصفة منتظمة حتى فى أشد فترات الاضطراب الاقتصادى بمصر ، والمبالغة فى الاهتمام بأمر الحجاج وموكبهم وتشكيل بعثة الحج الرسمية على أعلى مستوى ، وتسهيل سبل الحج عن طريق نشر الأمن والأمان على طول الطرق المؤدية إلى مكة عن طريق بذل العطاء للقبائل المقيمة بتلك المناطق ، والإنفاق بسخاء على القوات العسكرية المرافقة لقافلة الحج ، والاستمرار فى إرسال الشمسه وكسوة الكعبة كل عام حتى فى السنوات التى لم يخرج للحج فيها أحد من أهل مصر . كذلك اهتمامهم الشديد بالاحتفال بموسم الحج وبعيد الأضحى المبارك ، وخروج الخليفة فى موكب رسمى وتوزيع الكساوى على رجال الدولة ، إلى جانب ما كان يبذل فى شراء وذبح الأضاحى إلا أننا مع كل هذا ، ومن خلال دراستنا لتاريخ وحضارة العصر الفاطمى بالتفصيل فقد استلقت نظرنا ظاهرة هامة وهى : حجام الخلفاء الفاطميين عن تأدية فريضة الحج وزيارة الأراضى المقدسة ، ولم نجد لها تفسيراً منطقياً ، ولم يتعرض لهذا الموضوع بالتصريح أو التلميح أحد من مؤرخى مصر الفاطمية سواء القدامى أو المحدثين ، إذا ما استثنينا ما ذكره المقرئى عن نية الخليفة المعز لدين الله أداء هذه الفريضة حين يذكر " أنه فى شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة خرج المعز على فرس ، وقد اجتمع الناس من الأشراف والقواد والعمال والكتاب المغاربة ، فوقفوا بين يديه فقال لهم : قد أنعم الله - عز وجل - وتفضل وخول ومكن ونريد الحج وزيارة قبر جدى رسول الله ﷺ والجهاد ، فإيش

يقصر عن هذا ؟ إن قلت ليس عندي مال إنى لكاذب ، وإن قلت ليس عندي كراع وسلاح إنى لكاذب ، وإن قلت ليس عندي رجال إنى لكاذب . اللهم أعنى بنية أقوى من نيتي^(١) . إلا أنه مع ذلك لم يؤدها حتى توفاه الله .

ويمكن إذن أن نقول أنه الخليفة الفاطمي الوحيد الذي أعلن عن نيته لأداء فريضة الحج ، مجرد النية .

ومن المعروف أن العقيدة الإسماعيلية تعتبر الحج إحدى الدعائم السبعة وهي : الولاية ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد . ولكن قبل ذلك ، وبعد ذلك فالحج ركن من أركان الإسلام الخمسة التي بنى عليها ، وهو فرض واجب على كل مسلم ومسلمة .

فماذا نقول عن موقف الخلفاء الفاطميين هذا ؟ وهم الذين سيطروا على الحجاز وأنفقوا الأموال الطائلة على الأماكن المقدسة ، وسهلوا سبل الحج ، ووفروا الراحة والطمأنينة لقاصديه ؟

هذا ومن المعروف أن بعض الخلفاء الفاطميين كانوا يختلفون على زيارة بعض الأماكن المعروفة بمصر ، فقد كان الحاكم بأمر الله يواصل الخروج إلى جبل القرافة . كما كان من عادة المستنصر أن يركب إلى جب عميرة في يوم عرفة من كل سنة ، وذلك بهيئة أنه خارج للحج ، وكان تعريف الحج عندهم هو الاختلاف إلى الموضع وإلى الشيء مرة بعد مرة . فهل يعنى اختلاف الحاكم والمستنصر على هذين الموضعين أنهما يحجان إليهما في الباطن ؟ هذا ما لا نستطيع تقريره والجزم به^(٢) .

(١) لمقریزی : إتحاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٠٩

(٢) أبو حنيفة : دعائم الإسلام ، نقلا عن الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية .

وإذا جاز لى أن أجتهد فى هذا الأمر ، فإنى أرى بعد عرض هذا الموضوع وإعمال الفكر فيه ، أن اهتمام الفاطميين بأمر الأراضى المقدسة كان اهتماماً سياسياً أكثر منه دينياً ، إذ كانوا يودون من وراء إظهار هذا الاهتمام إضفاء صفة الشرعية على دولتهم واكتساب الصيغة القانونية لسيطرتهم على الأراضى المقدسة ، وبذلك يكسبون عواطف المسلمين تمهيداً لنشر مذهبهم خارج مصر ، ولذا نجدهم ينفقون الأموال الطائلة لتحقيق هذه المآرب .

والله أعلم ،،،

المصادر والمراجع

آدم منتر :

١ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى - ترجمة عبد الهادى أبو ريدة - الطبعة الثانية - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٥

ابن تغرى بردى : (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بودى) ت ٨٧٤ هـ

٢ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب المصرية ابن جبير : (أبو الحسن محمد بن أحمد البنسى) ت ٦١٤ هـ

٣ - رحلة ابن جبير ، ط بيروت ١٩٦٤ م

ابن الجوزى : (عبد الرحمن بن على بن محمد) (ت ٥٩٧ هـ)

٤ - المنتظم فى أخبار الملوك والأمم - طبعة حيدر أباد

ابن حوقل : (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) ت ٣٨٠ هـ

٥ - كتاب صورة الأراض - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٩

ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠ هـ

٦ - المسالك والممالك

ابن خلدون : (عبد الله بن محمد) ت ٨٠٨ هـ

٧ - مقدمة ابن خلدون

٨ - العبر وديوان المبتدا والخبر (التاريخ) بيروت ١٩٧١

ابن دقماق : (إبراهيم بن محمد) ت ٨٠٩ هـ

٩ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ، ط القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

ابن طباطبا : (محمد بن علي)

١٠ - الفخرى فى الآداب السلطانية ط بيروت ١٩٦٠

ابن عذارى : (أبو عبد الله محمد المراكشى) من رجال القرن
السابع الهجرى

١١ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب نشر كولان ، وليفى
بروفنسال - بيروت

ابن ميسر : (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب)
ت ٦٧٧ هـ

١٢ - المنتقى من أخبار مصر (انتقاء) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ
المتوفى ٨١٤ هـ حقق مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه أيمن فؤاد
سيد ، ط المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٨١ م
ابن هشام : (ت ٢١٨ هـ)

١٣ - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وآخرون دار إحياء التراث
بيروت .

الأزرقى : (ت ٢٥٠ هـ)

١٤ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جزءان - تحقيق رشدى صالح دار
الأندلس - مكة ١٩٦٥

البتانونى : (محمد لبيب) :

١٥ - الرحلة الحجازية - القاهرة ١٣٢٩ هـ

تامر (الدكتور عارف) :

١٦ - المعز لدين الله الفاطمى - دار الأفاق الجديدة بيروت ١٩٨٢

الجزيري : (عبد القادر بن محمد) ت ٩٧٧ هـ

١٧ - درر الفوائد المنظمة في أخبار الحجاج وطرق مكة المعظمة -
المطبعة السلفية - القاهرة

جواد على :

١٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - عشرة أجزاء الطبعة الثالثة
بيروت ١٩٨٠

الجوزري (أبو علي منصور) من رجال القرن الرابع

١٩ - سيرة الأستاذ جوذر-تحقيق محمد كامل حسين مطبعة الاعتماد - مصر
حسن (الدكتور حسن إبراهيم) :

٢٠ - الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص

٢١ - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العوب - دار
النهضة العربية - الطبعة الرابعة ١٩٨١

٢٢ - عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب - مكتبة
النهضة المصرية ١٩٤٨

٢٣ - المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية طبعة مكتبة النهضة
المصرية ١٩٦٤ الطبعة الثانية

حسن (الدكتور زكي محمد) :

٢٤ - كنوز الفاطميين ط دار الآثار العربية ١٩٣٧ ، ١٩٤٨

حسن (الدكتور علي إبراهيم) :

٢٥ - تاريخ جوهر الصقلي طبعة القاهرة ١٩٣٣

دراج (الدكتور أحمد السيد) :

٢٦ - عيذاب - مقالة بمجلة نهضة أفريقية عدد يوليو / أغسطس ١٩٥٨

الدقن (السيد محمد) :

٢٧ - كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ١٩٨٥

الزليعى (الدكتور أحمد عمر) :

٢٨ - مكة وعلاقاتها الخارجية من سنة ٣٠١ هـ إلى ٤٨٧ هـ — رسالة
دكتوراة مطبوعة - عمادة شئون المكتبات جامعة الرياض .

السباعى (أحمد) :

٢٩ - تاريخ مكة الطبعة الثالثة مكة ١٣٨٧ هـ

سرور (الدكتور جمال الدين) :

٣٠ - الدولة الفاطمية فى مصر وسياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى
عهدهما - دار الفكر العربى ١٩٧٠ - ١٩٧٩ - النفوذ الفاطمى فى
جزيرة العرب الطبعة الأولى ١٩٥٠ - دار الفكر العربى القاهرة

٣١ - سياسة الفاطميين الخارجية - دار الفكر العربى ١٩٦٧

شافعى (الدكتور سلام) :

٣٢ - بنو شيبه حجة الكعبة - دراسة تاريخية لأعمال السدنه ومراسم
الشيبين منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكى - توزيع دار
المعارف الإسكندرية ١٩٩٥

سلطان (الدكتور عبد المنعم) :

٣٣ - المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى دراسة تاريخية وثقافية دار
المعارف ١٩٨٥

سيد (الدكتور أيمن فؤاد) :

٣٤ - الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد - الدار المصرية اللبنانية

الشوربجى (الدكتور أمينة أحمد إمام) :

٣٥ - رؤية الرحالة المسلمين لأحوال مصر المالية والاقتصادية فى العصر
الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) - رسالة دكتوراه -
كلية البنات / جامعة عين شمس ١٩٩٢ م

عطار (الدكتور أحمد عبد الغفور) :

٣٦ - الكعبة والكسوة منذ ألف سنة حتى اليوم - الطبعة الأولى - مكة
المكرمة ١٩٧٧ م .

عنان (محمد عبد الله) :

٣٧ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية - القاهرة ١٩٥٩ م
الفايسى (ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :

٣٨ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - جزءان دار الكتب العلمية - بيروت
القلقشندي (أحمد بن على أحمد الفرارى) :

٣٩ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ١٤ جزء - دار الكتب المصرية
القوصى (الدكتور عطية) :

٤٠ - تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة
العباسية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٦ م

كاشف (الدكتور سيدة إسماعيل) :

٤١ - مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية
- القاهرة ١٩٧٠ م

٤٢ - مصر فى عصر الولاة ، من الفتح إلى قيام الدولة الطولونية -
مجموعة تاريخ المصريين - رقم ١٤

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) :

٤٣ - كتاب الولاة وكتاب القضاة - دار الإسلامى / القاهرة

ماجد (الدكتور عبد المنعم) :

٤٤ - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر - التاريخ السياسى دار المعارف ١٩٦٨

٤٥ - نظم الفاطميين ورسومهم - ح ١، ٢ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٥ م

٤٦ - الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه - مكتبة الأنجلو ١٩٨٢ م

٤٧ - المستنصر بالله الفاطمى - مكتبة الأنجلو ١٩٦١ م

٤٨ - السجلات المستنصرية - سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام

المستنصر بالله أمير المؤمنين - دار الفكر العربى ١٩٥٤ م

مالكى (الدكتور سليمان عبد الغنى) :

٤٩ - بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشرف حتى سقوط الخلافة العباسية

بيغداد - ط ٢ / ١٩٩٣ م

٥٠ - طريق حجاج الشام ومصر - انتشار الإسلام إلى منتصف القرن

السابع الهجرى/المجلة التاريخية - المجلد ٣٠ ، ٣١ سنة ٨٣ ، ١٩٨٤ م

ماهر (الدكتورة سعاد) :

٥١ - البحرية في مصر الإسلامية - دار الكتاب العربى .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البرى البغدادى) :

٥٢ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - ط - ٣ / ١٩٧٣ م

المحب الطبرى (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٢٩٥ م) :

٥٣ - القرى لقاصد أم القرى - تحقيق مصطفى السقا - ط ٣ دار الفكر

بيروت ١٩٨٣ م

محمد رمزى :

٥٤ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية فى عهد قدماء المصريين إلى سنة

١٩٤٥ م - القسم الأول طبعة دار الكتب ١٩٥٣ ، القسم الثانى ٦٠ - ١٩٦٨ م

المسبحى (المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد بن
إسماعيل بن عبد العزيز) :

٥٥ - أخبار مصر وفضائلها وعجائبها وطرائفها وغرائبها وما بها من
البقاع والآثار وسير من حلها وحل غيرها من الولاة والأمراء والأئمة
- المعروف بأخبار مصر فى سنتين ٤١٤ ، ٤١٥ هـ - الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م

المسعودى (أبو المحاسن على بن الحسن بن على) :

٥٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - ٤ أجزاء تحقيق محمد محى الدين
عبد الحميد - الطبعة الرابعة - القاهرة

المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) :

٥٧ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - ط ليدن ١٩٠٦ م

المقريزى (تقى الدين أبى العباسى بن على المقريزى) :

٥٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط
المقريزية - ١ ، ٢ مكتبة الثقافة الدينية المأخوذة عن طبعة
بولاق .

٥٩ - إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - ١ ، ٢ ، ٣ تحقيق
الدكتور جمال الدين الشيال ، الدكتور محمد حلمى أحمد ط المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٧٣ م

٦٠ - الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك - القاهرة
١٩٥٥م

٦١ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع -
الجزء الأول تحقيق محمد النميس - الطبعة الأولى ١٩٨١ م

ناصر خسرو :

٦٢ - سفرنامه ، ترجمة الدكتور الخشاب - دار الكتب الجديدة / بيروت
١٩٧٢ م . وطبعة الألف كتاب الثاني رقم ١٢٢ - القاهرة ١٩٩٣ م

النخيلي (الدكتور درويش) :

٦٣ - السفن الإسلامية على حروف المعجم - دار المعارف ١٩٧٩ م

النعمان (القاضي أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربي) :

٦٤ - المجالس والمسائرات - تحقيق إبراهيم شبوح ، محمد الببلاوي -
ط الجامعة التونسية ١٩٧٨ م